

مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

تأثيرات المرض زمن جائحة كورونا، والحاجة إلى أخلاق جديدة

The effects of the disease in the time of the Corona pandemic, and the need for new moral

سعدية سي محمد*

جامعة أكلي محمد أولحاج البويرة (الجزائر)، simohammed091973@gmail.Com

تاريخ النشر: 2022/09/01

تاريخ القبول: 2022/08/12

تاريخ ارسال المقال: 2022/06/08

* المؤلف المرسل

الملخص:

كانت أزمة كورونا مناسبة لعلماء الانسانيات لفهم حقيقة المرض، ليس من الناحية الطبية وإنما من جانب تأثيراته على حياة الانسان من كل النواحي، النفسية والتربوية والاجتماعية. نحاول في هذا البحث فهم معاناة المرضى، ذلك أن العزل جعلنا نجرب معنى العزل والحزن الناتج عن التباعد وحالة الضياع والخوف من تسلط الحكومات تحت مبرر الحفاظ على الصحة العامة. والتركيز يكون على إفرازات المرض وتأثيراته على المنظومات التعليمية العالمية، ما أدى على اعتماد التعليم عن بعد (التعليم الالكتروني) الذي واجهته عدة مشكلات موضوعية منها ضعف شبكة الانترنت، وضعف توزيعها على المستوى الوطني (الجزائر)، وتعرضه لعدة انتقادات، تأثيرات المرض لم يكن لها الوجه الاقتصادي، بل تعدته اذن الى مجالات التربية والصحة النفسية.

الكلمات المفتاحية: جائحة كورونا؛ التعليم عن بعد؛ الاتيقا الطبية؛ الصحة النفسية، الرهاب، الهشاشة، مراكز المسنين.

Abstract :

The Corona crisis was an occasion for anthropologists to understand the reality of the disease, not from a medical point of view, but from the aspect of its effects on human life in all aspects, psychological, educational and social. In this research, we try to understand the suffering of patients, because isolation made us experience the meaning of isolation and sadness resulting from distance, a state of loss and fear of government domination under the pretext of preserving public health. The focus is on the secretions of the disease and its effects on global educational systems, which led to the adoption of distance education. (E-Learning), which faced several objective problems, including the weakness of the Internet, its poor distribution at the national level (Algeria), and its exposure to several criticisms.

key words:

Corona pandemic; distance education; medical ethics; mental health; phobias; fragility; elderly centers (epad).

مقدمة البحث واشكاليته:

كانت أزمة كورونا (كوفيد 19) مناسبة للباحثين والفلاسفة لفهم حقيقة المرض، ليس من الناحية الطبية فقط، وإنما من جانب تأثيراته على حياة الإنسان من كل النواحي، التربوية النفسية، الاجتماعية، والاقتصادية... فقد ترك تأثيرات عميقة في الإنسان من كل النواحي المذكورة سابقا. نستهدف من خلال هذا البحث إبراز تأثيرات جائحة كورونا على الحياة اليومية، وكيفية تسييرنا للأزمة من البداية وتأثيرات ذلك على حياة ومشاكل المواطنين في النواحي النفسية والتربوية خاصة، علما أن الجوانب الأخرى خاصة الصحية أو الطبية والاقتصادية هي التي سيطرت على مختلف التدخلات الفكرية والاعلامية، ويمكننا أن نعرج عليها في بحثنا هذا دون اسهاب.

تقول كليرمارين: "مكننا الجائحة من فهم معاناة المرضى والمعاقين والمسنين، إنهم يعيشون حياة غير عادية، ذلك أن الحجر جعلنا نجرب معنى فقر العزل والحزن الناتج عن التباعد والاحتباطات التي يسببها محدودية الاتصالات بين الناس، وهكذا تصبح حياتنا تدور مكانيا حول طاولة الصالون، وهذه حياة شبيهة بوضعية المريض، إننا أمام حياة ضياع منزوعة من امتداداتها العاطفية والاجتماعية والمهنية، وهنا تظهر قيمة الأماكن العائلية للعمل واللقاءات والترفيه، التي تعتبر عمق الفضاءات النفسية، والتي فيها ننشر رغباتنا ومشاريعنا (claire m,2020)

ثمة ميزات لهذا المرض، إنه جماعي ومعدى وقاتل، فقد اعتاد الإنسان على فعالية اللقاحات والأدوية، وعلى الكفاءات الطبية التي تضمن حمايته من هذا المرض، إن الإنسان مسكون بفكرة المناعة وقد أربك جسده الطبيعي بالأدوية في مواجهة الأمراض، واعتقد لمدة طويلة بعد ظهور البنسيلين ومختلف التطعيمات أنه أكثر حماية، خاصة بعد فترة الحرب العالمية الثانية، أين تطور الطب، وقد تدعمت الرعاية الصحية في مختلف البلدان وتقدمت بشكل لافت. ورغم ذلك، لا يوجد إنسان دون حمى، وقد نسينا أننا كائنات محفوفة بالمخاطر، أي أن مناعتنا ضعيفة ومعرضون لمخاطر من حين لآخر لأدنى سبب.(التسممات في الصيف)

لقد أعادت هذه الجائحة تنشيط فكرة الموت كأمر سري، فرض نفسه من جديد، مما أدى إلى القلق المنبعث بين الأفراد، بمختلف فئاتهم، خاصة المعرضون للخطر، الأطباء وكبار السن..

في الحقيقة، لقد قادت الجائحة الإنسان نحو اكتشاف البعد البيولوجي لوجوده، فبدون لقاح أصبحنا أمام الفيروس مثل كل الكائنات، إما أن تكون لدينا القدرة على التحمل أو الفشل في المواجهة.

إن المرض يجعل من الإنسان مساويا للحيوانات والنباتات، إنه أحد تمظهرات الحياة، إنه قدرنا حتى ولو بنينا في أذهاننا نموذج الصحة التي ضمنها لنا التقدم الطبي. فالحياة هي مسار الخلق والتهديم، وهذا ما علمتنا إياه الجائحة..، تقول كليرمان. وهكذا فإننا نكتشف - بالنظر إلى ذاتنا- هشاشتنا وحجم الأخطار المهددة لنا، وأمام خطر العدوى والوباء والملازمة المتبادلة عرفنا أننا كائنات اجتماعية ومتصلة.

ثمة مظهر آخر للوباء وهو تعقد العلاقة بين المريض والمعالج بفعل مخاوف العدوى لم تكن نلمسها أو حتى ندركها من قبل، ذلك لأن المعالج يحتاط من المريض خوفاً من أن ينتقل إليه المرض أو العكس، وفي نفس الوقت يهدف المعالج إلى المحافظة على حياة المريض. وهو ما يجعل الطبيب أو المعالج عموماً يعيش احباطات متكررة مشبعة بكل الانفعالات، رحمة، رافة مقابل الهروب من الأذى الذي يمكن أن يلحقه من المريض أو حتى الأقارب خاصة في بداية الجائحة.

أمام هذا الوضع الملتزم (enigmatique)، هل يمكن أن نضع حدوداً أمام حركة الفيروس بوضع المريض في حالة الفيروس بوضع المريض في حالة عزلة تجعله يعاني منفرداً بشكل مأساوي.

يرتسم تهديد آخر، وهو إهمال الرعاية الصحية أمام خطورة الضرر الذي يسببه المرض، وأمام هذا التهديد من الضروري أن نحافظ على استمرارية العلاج، ذلك أن المريض يرى في استقرار حالته الصحية المرتبطة بنقل المعلومات التي تجعله يربح الوقت، والأخطاء التي يمكن تجنبها، وهذا كله بفضل متابعة متواصلة لحالته، وكذا توفر علاقة ثقة بينه وبين الطبيب. هذا الوصف العام للمرض وأضراره وطريقة تعامل الفرد عموماً معه، خاصة في بداية الجائحة، التي اتسمت بالغموض والحيرة وكثرة التفسيرات، وقد رأينا كيف تجاوزت ردود الفعل تجاه الوباء حدود العقل والموضوعية، سواء في تفسير أسباب المرض وكيفية التعامل معه، وقاية وعلاجاً. والبحث الحالي — كما ذكرت سابقاً — سيركز على ردود الفعل التربوية والنفسية، وهو مجال تخصصنا .

التعليم زمن كورونا:

كلنا يتذكر كيف لجأ العالم كله إلى الحبس الأول في مارس 2020، كل شيء متوقف، فيروس متناه الصغر يحتاج العالم بأكمله، يهدد اقتصاديات العالم وتجارتها، وكبريات الدول تنشر أنباء عن خطر داهم يهدد العالم، من الصين إلى نيويورك إلى إيطاليا (تذكرون أعداد الموتى في ميلانو) إلى فرنسا وإيران... لا نكاد نسمع ونرى في وسائل الإعلام المختلفة إلا الموت والخوف. وقد بدأ العالم في اتخاذ تدابير وقائية غير مسبقة لمكافحة انتشار فيروس اجتاحت العالم بأكمله، سمي آنذاك بجائحة كورونا فيروس (SARS-CoV-2) نظراً لتأثيراته الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والصحية المتعددة، فإن الإغلاق شبه المعمم للمدارس في جميع أنحاء العالم، خلال فترة الحجر الأول، هو بلا شك أحد أهم التدابير في إدارة هذا الوباء .

في دراسة أجراها مصطفى (Mustafa , 2020) هدفت إلى دراسة أثر جائحة فيروس كورونا على النظم التعليمية لعام 2019 - 2020 م في جميع أنحاء العالم ، وقد كان هذا التأثير بفعل الإغلاقات الشبه كاملة للمدارس والجامعات والكليات إذ قامت (191) دولة بتنفيذ عمليات الإغلاق على الصعيد الوطني و (5) دول على الصعيد المحلي ، وقد كان تأثير عمليات الإغلاق على حوالي (98.4 %) من الطلاب في العالم ، وأثبتت الدراسة أنه لإغلاق المؤسسات التعليمية أثر اقتصادي بعيد المدى وعواقب مجتمعية كبيرة ، كما أثبتت الدراسة أن التأثير كان أكثر شدة على الأطفال الذين حرّموا وأسرهم، مما أدى إلى التعلم المتقطع وذلك بفعل تطبيق برامج التعلم عن بعد

والتطبيقات التعليمية المفتوحة والمنصات في المدارس، والتي لا يمكن لكافة المتعلمين الوصول إليها ، وبالتالي أدى ذلك إلى تعطيل التعليم.

وتشير التقارير العالمية إلى أنه "بعد مرور عام على بدء وباء COVID-19 لا يزال أكثر من 800 مليون طالب، أي أكثر من نصف القوى العاملة في جميع أنحاء العالم ، يواجهون اضطرابات كبيرة في مناهجهم الدراسية، بدءًا من الإغلاق الكامل للمدارس في ساعات مخفضة أو بدوام جزئي. استنادًا إلى البيانات العلمية المتاحة، وتحليل الاستجابات المختلفة التي تقدمها الدولة والبيانات المستمدة من خبرة المتخصصين في هذا المجال على نطاق عالمي. " (العربي الجديد، 2020)

ومع الوضعية الصعبة، أظهرت الادارة المركزية في بلدنا عجزا شاملا في متابعة تدرس التلاميذ في بداية الجائحة، ربما يتذكر الكل كيف تم غلق المدارس وارسال التلاميذ الى منازلهم وغلق المؤسسات التعليمية في وجه روادها من المتعلمين والأساتذة والاداريين والعمال، وكأن العالم قد توقف دون سابق انذار. في البداية اتخاذا اجراءات نصف شهرية لمواجهة الموقف، الذي ظهر وأنه ظرفي ولكن استمرار تمديد الاجراءات فيما سمي بوضعية حظر التجوال(الطوارئ) والغلق الكلي لمدة شهر ونصف أو أكثر، كشف عن طابع الأزمة الصحية الممتد، وغموض الوضعية، وهو ما أفرز تخوفا لدى الأولياء حول مصير أبنائهم، وهذا بعد مرور فترة من الحجر، وانتقلنا بالتالي من الخوف على صحتنا الى البحث عن مصيرنا في قضايانا الاجتماعية والاقتصادية، وإن بات العالم متوقفا ويبحث عن حلول لمشكلات أفرزتها الأزمة الصحية، فنحن على المستوى العام والخاص لازلنا لم نفقه كنه المرض وكيفية التعامل معه، وبدا أماننا أن الاغلاق في كل شيء هو الحل، وأنا يمكن أن نعيش دون الفضاء العام، في منازلنا منقطعين عن العالم الخارجي بشرط توفر المؤونة، وهو ما عملت الحكومة في وقت لاحق للتكفل به، بطرق مختلفة عن التي اعتمدتها الكثير من الدول في العالم،(نماذج من دول العالم يتكفل بحاجيات الناس في البيوت، الكترونيا).

ويختصر فليب ميريو وصفه للوضع في البداية بقوله، في كتابه ما يمكن للمدرسة أن تقدمه للديمقراطية : " فيروس غير محتمل استطاع أن ينشر القلق والرغبة، وهذا ما أدى الى رسم حالة الطوارئ في كل بلدان العالم من طرف السياسيين، ومع أن وسائل الاعلام دأبت على تكرار نفس التوصيات بطريقة آلية، وضاعت كل الاهتمامات الاجتماعية بالتدريج حتى شككنا في مدى قدرتنا على السكن في هذا الكوكب، نحن أمام مدن ومحلات مغلقة ومدارس أغلقت أبوابها وتحركات مقطوعة وجلسات ممنوعة، ولقاءات مشلولة ومشاريع متوقفة. لكن الواقع مختلف، ثمة عمال لا نراهم يضمنون حياتنا، وهكذا يجب معالجة المرضى وتموين السكان وصناعة الأشياء الضرورية للحياة مع جمع القاذورات، ويمكن أن نشهد مهن أصحابها في حجر وراء الحاسوب، نحن أمام تبادل افتراضية (Meirieu,2020,p5) .

على مستوى العالم المتقدم أبانت الأزمة عن تعبئة مثالية للأساتذة لضمان التواصل البيداغوجي منذ اليوم الأول، لقد برهن هؤلاء عن ابداعية استثنائية مع تبادل مصادر العمل واقتراحات لتطويره، وهنا يظهر انتباه الأساتذة الى الاحتفاظ بعلاقة التدريس مع تلاميذهم وضمان الخدمة العمومية رغم الوضعيات الصعبة التي

يعيشونها (Meirieu, 2020,6). ولكن المعلمين اكتشفوا بسرعة أن هذه الوضعية أظهرت تفاوتات مدرسية رهيبة، ذلك أن التعليم الاليكتروني عن بعد مثله مثل الواجبات المنزلية التقليدية تحيلنا إلى شروط اجتماعية غير متماثلة تظهر للعلن التفاوتات بين التلاميذ.

يمكننا أن نعدد التمارين مع ضبط التوجيهات، لكن نلاحظ وجود فيئتين من التلاميذ، فئة قادرة على الفهم بما تملكه من توارخ معرفية ويحيون لذة المعرفة رغم الصعوبات التقنية التي يجدها، بينما نجد فئة أخرى يجدون صعوبة في الفهم وحواجز.

فقد توصلت دراسة ألمانية حديثة في موضوع التعليم عن بعد خلال جائحة كورونا إلى أن التجربة تسببت في "نتائج سيئة ومخيبة آمال" التلاميذ. ففي مراجعة منهجية باستخدام قواعد بيانات علمية من دول العالم، اطلع الباحثون في جامعة غوته بمدينة فرانكفورت الألمانية على الدراسات التي تناولت آثار إغلاق المدارس بسبب الجائحة على أداء ومهارات تلاميذ المدارس. (<https://p.dw.com/p/3vGmB>).

وأوضح أستاذ علم النفس التربوي في جامعة غوته والمشارك في الدراسة، أندرياس فراي، أن متوسط تنمية المهارات أثناء إغلاق المدارس في ربيع 2020 على اكتساب أطفال المدارس للكفاءات عبر تطبيقها اختبارات مناسبة لقياس الأداء أو الكفاءة "يمكن وصفه بالركود مع ميل إلى التراجع في المهارات المكتسبة، وبالتالي فهو يقع في نطاق مماثل لتأثير العطلة الصيفية"، على حد وصف فراي دائما (<https://p.dw.com/p/3vGmB>).

كما أن المعلمين اكتشفوا بسرعة أن هذه الوضعية أظهرت تفاوتات مدرسية رهيبة، ذلك أن التعليم الاليكتروني عن بعد مثله مثل الواجبات المنزلية التقليدية تحيلنا إلى شروط اجتماعية غير متماثلة تظهر للعلن التفاوتات بين التلاميذ.

يمكننا أن نعدد التمارين مع ضبط التوجيهات، لكن نلاحظ وجود فيئتين من التلاميذ، فئة قادرة على الفهم بما تملكه من توارخ معرفية ويحيون لذة المعرفة رغم الصعوبات التقنية التي يجدها، بينما نجد فئة أخرى يجدون صعوبة في الفهم وحواجز.

وأشار فراي في هذا الإطار إلى أن فقدان المهارات للطلاب "يظهر بصورة كبيرة" بين الأطفال والمراهقين المنحدرين من أسر محرومة اجتماعيا، على حد تعبيره. كما يرى فراي أن ذلك يؤكد الافتراضات السابقة التي قدمتها الأدلة التجريبية حول الفجوة بين الأغنياء والفقراء، "واتساعها بشكل أكبر خلال إغلاق المدارس لأول مرة بسبب كورونا" (<https://p.dw.com/p/3vGmB>).

وتشير العديد من الدراسات والاستطلاعات زمن كورونا، إلى عدم المساواة وغياب تكافؤ الفرص، فقد أدى هذا النمط من التعليم إلى زيادة عدم المساواة بين الطلاب في ظل تباين واقع انتشار وسرعة شبكة الانترنت في كل دولة، إضافة إلى امتلاك حواسيب شخصية من عدمه، وهو ما أدى إلى زيادة حدة الفجوة الرقمية وانعدام المساواة في إمكانات الاتصال بالإنترنت وتداعيات ذلك على جودة التعليم عن بعد. " (إيمان مرعي،

(12/12/2020 <https://acpss.ahram.org.eg/News/17004.aspx>) فنسبة عالية من الطلبة في جامعاتنا لم تتمكن منولوج الى المنصات الخاصة بالدروس عن بعد بسبب ضعف شبكة الأنترنت خاصة خلال شهري جوان وجويلية 2020، واضطرت الجامعات في بداية الدخول الجامعي ولإنقاذ الموسم الجامعي الماضي (2020/2019) الى برمجة حصص التدريس بالتفويج.

وبالإضافة الى هذا، يلاحظ عدم وجود تجانس بين التلاميذ، فقد ظهرت مشكلات أكثر حدة، تعلق كلها بالعجز الذي خلقته ضعف شبكات الاتصال (ضعف تدفق الأنترنت)

وهذا يعود إلى ضعف البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ فعلى الرغم من أن التعلم عن بعد حقق نجاحا كبيرا في الدول المتقدمة، الذي يتمتع ببنية تكنولوجية قوية، لكن الأمر مختلف في حالة الدول النامية، خاصة في ظل هشاشة البنية الرقمية، وارتفاع تكلفة خدمة الإنترنت بالنسبة لمستويات المدخول .

وبالانقطاع الكلي عن المدارس والجامعات لمدة تفوق عن نصف سنة (سبعة أشهر)، بدا الأولياء غير محضرين لوضعية طارئة تتطلب منهم لعب دور أباء ومعلمين في رفض استثنائي، وقد ساد الاعتقاد لدى الأولياء عندنا- لمدة طويلة من الزمن - ولا زال أن التعليم هو مسؤولية المدرسة فقط، وهنا يجب التأكيد أن العملية التربوية ككل هي مسؤولية الكل، المدرسة، المدرس والأولياء .

ورغم هذا يمكن أن نشير الى مشكل آخر يتمثل في ضعف مستوى التفاعلية في التعليم عن بعد حيث يرى البعض أن الافتقار للنواحي الواقعية أحد أهم عيوب هذا النوع من التعليم الذي يحتاج إلى لمساة إنسانية بين المعلم والتلاميذ، فالعملية التعليمية تحتاج الى تفاعل لمساعدة المتعلم على الاندماج، وهذا ما لا يوفره التعليم بالوسائط الالكترونية. وهو العجز الذي كانت تؤكد الأطر النظرية للتعليم المبرمج لمدة طويلة من الزمن في الولايات المتحدة الأمريكية .

تتميز نظم التعليم في الكثير من دول العالم الثالث بنوع من الجمود، فالتركيز على الكم، دون الجانب المهاراتي، والتركيز على التلقين، وغياب التشريعات التي تفعل التعليم الذاتي وما يقابله من التعليم الالكتروني. والتعليم عن بعد رغم حاجتنا اليه بعد توسعنا في التعليم وطنيا، تنوع التعليم، الكم الهائل من المتدربين في كل المستويات، والكم الهائل من المؤطرين الذين يحتاجون الى الاستفادة مما تقدمه تكنولوجيا التعليم من وسائل وتقنيات لتحسين عملية التعليم.

وقد أظهرت أزمة كورونا حاجتنا الى هذا النوع من التعليم وتطويره ليتلاءم مع مختلف المستويات التعليمية، وقد رأينا كيف انتشرت فيديوهات لأساتذة ومعلمين يقدمون الدروس للتلاميذ وللطلبة بشكل واضح، وقد لقي ذلك استجابة واسعة من الأولياء في محيطنا لهذا النوع من التعليم عن بعد، وإن لم تكن لدينا احصائيات أو دراسات حوله- إلا أن المحيط القريب لنا يبين سرعة الاستجابة له خاصة في النصف الثاني من سنة 2020.

ويرى فراي في هذا الصدد أن هناك أيضا مؤشرات أولية على أن تأثيرات إغلاق المدارس مع بداية فصل الشتاء الماضي لم تكن بالضرورة ذات وقع بالغ "حيث تحسن في تلك الأثناء التدريس عبر الإنترنت في العديد من الأماكن". (<https://p.dw.com/p/3vGmB>)، إن التحول نحو التعليم عن بعد، خاصة في الجامعة خلق حركية في نوعية التعليم، باستحداث برامج عبر منصة خاصة مودم (modem) وتكوين الأساتذة الجامعيين في كيفية استخدامها، وادخال مقرراتهم الدراسية، وكيفية ربط الطلبة بالمنصة عن طريق إيميلات استحدثتها كل جامعة. إن التحول نحو هذا النوع من التعليم ساعد على انتشار مقررات المقاييس المختلفة المدرسة في الجامعة على مستوى شبكة الأنترنت، ومكّن الطلبة من الوصول إليها. ولا شك أن تحسين هذه المواقع التعليمية وتسهيل دخول الطلبة إليها قد يستغرق وقتا من الزمن.

المشكلة الأخرى التي أفرزتها الجائحة، فيما يتعلق بالتعليم عن بعد هو العزلة الاجتماعية، فالبرمجة الغائبة للتلاميذ والمعلمين لجعلهم يتواصلون في التوقيت ذاته، - هذا في حالة ربط كل المعلمين والمتعلمين بوسائل الاتصال الحديثة في أن واحد، وهو يكاد يستحيل في مجتمعاتنا وحتى في أغلب دول العالم- فالجائحة قدمت دون سابق انذار أو تحضير، ما جعل أغلب دول العالم، لم يكن هناك تحضير لمواجهة الأزمة في حينه، وقد عشنا (في الجزائر) قرابة مرحلتين أو أكثر دون الحديث إلا عن استمرار غلق المدارس والجامعات دون توضيح لما سيحدث في يخص الدروس المؤجلة أو الامتحانات المقبلة، فالفعل التربوي كما هو معروف اجتماعي تفاعلي بطبعه يستدعي مواجهة الطوارئ في الحين، أي الاستعجال في اتخاذ التدابير، وهذا يتضمن التحكم في الوضعية التعليمية بمشاركة كل اطرافها، وهو ما لا يتسنى في التعليم عن البعد، وسيفرز لاحقا مخاطر عدة لا بد من مواجهتها .

افرازات المشكلات السابقة ستظهر لاحقا في اختلال في نظام الامتحانات والمسابقات، فأني خلل في تنظيم الفعل التربوي سي طرح لاحقا مشكلات متعلقة بنظام التقييم والتقويم، فإذا كان الحل هو اللجوء الى الغاء امتحانات نهاية المرحلة الابتدائية، والانتقال الى المتوسط بمعدل تسعة (20/09)، مع اجتياز شبه شكلي لامتحان مرحلة التعليم المتوسط، فإن امتحان البكالوريا الذي تم تأجيله الى شهر سبتمبر وضعنا أمام مشكلة حادة، في الجانب المرتبط خاصة بالتسجيل وبداية الموسم الجامعي (2021/2020)، وبالفعل سبّب ذلك تأخرا في انطلاق الموسم الجامعي الى غاية شهر فبراير 2021، ولا زالت افرازاته الى غاية اليوم، فيما يخص الشهادات، ومسابقات الدكتوراه (مارس 2022 بداية تلاشي المرض عندنا في الجزائر مع تسجيل حالات أقل من عشرة وحالة وفاة واحدة منذ ما يقرب العامين.

التأثيرات النفسية للجائحة على الأفراد:

من الجانب النفسي يؤكد الفيلسوف الفرنسي مارك كريبون (crepon) عن أجواء القلق والذعر السائدين، والأمر ليس عفويا، وله شرعية تعود الى امتدادات اعلامية وحكومية، تمتلك حجيتها، ولكن وجب قياس التأثير النفسي على الأفراد الذين يتحملون كل هذه التبعات، صحيح يحق للدولة أن تؤكد على الحذر والوقاية، وأن تضع

حواجز للحماية والانقاذ، ولكن عندما تطول المدة، وتكون الأخبار الجديدة التي تذكرنا دائما بالحضور الدائم للفيروس القاتل، وعلى تهديده المستمر وبضرورة اتخاذ احتياطات، فإنه لا مفر من تطور ثقافة الخوف كثقافة مهيمنة في المجتمع، وهكذا فإن تأثيرات ذلك تتمظهر أولا في مجموع المسارات والسلوكيات، التي تخضع لها رغم أننا لم نكن نتخيل أن نكون قادرين على قبولها من قبل. (crepon,2022, 40-41). إن مثل هذه الثقافة الجديدة يمكن أن تترجم دائما بغض النظر عن القوى المهندسة لها- ترسيما غير مقبول لوضع جديد وبدون هودة- في هذه الحالة تعين الطوارئ الصحية على استعمار تعسفي لواقع المجتمع، ويظهر تعيين ذلك من خلال الاجراءات الصحية التي تضيق الخناق على حريتنا في اللمس واللقاءات. (crepon, 2022, 41).

تأثير الحجر (حالة السجن):

لم تنحصر آثار ظاهرة كورونا في الجانب الصحي عند الإصابة، بل تعدتها إلى مجموعة من التدايعيات التي تمس الافراد المعافين من الوباء، من خلال خضوعهم للحجر الصحي، ذلك أن سرعة انتشار العدوى بين أفراد المجتمع، وغياب المعلومات العلمية عن الوباء وخصائصه، وعدم توفر أدوية متفوق عليها لمعالجته، وارتفاع أعداد المصابين والمتوفين بصورة مذهلة في دول لها امكانيات مادية وعلمية كبيرة (ايطاليا وفرنسا)، كلها عوامل دفعت نحو تطبيق اجراءات الحجر الصحي.

يؤدي الحجر المنزلي الطوعي أو المفروض بسبب تفشي الجائحة الى اختلال جدلية الوجود، هذه " الحميمية- الانطلاق"، الى تصاعد أحاسيس السجن أو شبيهة بها، التي تؤدي بدورها الى تصاعد مشاعر الملل والضيق وشكوى الانحسار، التي قد تزداد حتى تصل الى الاكتئاب، خاصة وأن الحجر المنزلي يبدو أنه يطول وقد يزداد تشددا، وهو ما يفاقم حالة الاكتئاب التي تعبر عن اختلال جدلية الوجود. (مصطفى حجازي، <https://play.google.com/books/reader?id=LcTgDwAAQBA=GBS.PT19&hl=fr>

وهو ما أكدته أحدث الدراسات، المتعلقة بتأثيرات وباء كورونا على الجانب السيكلولوجي للأفراد فمنع التجول، والبقاء في المنزل، والحجر الصحي داخل البيوت وخارجها يمكن أن تؤدي إلى ظهور أعراض ضغط ما بعد الصدمة، والارتباك، والغضب، وأن التوتر والإجهاد يرتبطان بالمدة الأطول للحجر الصحي، والمخاوف من الإصابة، والإحباط، والملل، وعدم كفاية الإمدادات، والمعلومات، والخسارة المالية والوصم. والعديد من الباحثين الذين وجدوا أن لهذا الوباء الخطير تأثيرات نفسية طويلة الأمد. (Brooks et, all, 2020)

مستوى الصحة النفسية الجائحة:

أثرت حالة الحجر على الصحة النفسية للأفراد، وتحوّل ردود أفعال الناس الى نوع من العصاب الرهاب الجمعي حسب تعبير الباحث اللبناني مصطفى الحجازي، بتأثير من الاعلام المرئي ومواقع التواصل الاجتماعي على تنوعها، فلاول مرة يصبح الكل متواصلا مع الكل، في نفس لحدود الزمان والمكان، أي في الان واللحظة. ما يشبه هجمة شرسة من كل ناحية، وطوفان من المعلومات غير مدعمة علميا في وسائل التواصل الاجتماعي، ما جعل المخاوف

والهواجس والوساوس تتزايد في كل ما يتعلق بالتعامل مع هذا الكائن الوافد المتناهي في الصغر، الذي أضحي بين عشية وضحاها الشغل الشاغل لكل الناس .

أكدت العديد من الدراسات أن مستوى الصحة النفسية لدى الافراد كانت منخفضة خلال انتشار الجائحة. (يومدين، 2020). ولم تستثن تأثيراتها لا جنس ولا فئة ولا بلد دون اخر. ففي ظل الانشغال بتأثيرات المرض ومضاعفاته على الصحة الجسدية، كان الاهتمام منصبا منذ البداية على آثار المرض على الجوانب النفسية، التي زادها فرض الحجر والتباعد الاجتماعي حدة، فقد نشرت مجلة (the Lancet) في تقرير لها حول التأثيرات النفسية للحجر الصحي وكيفية الحد منه، أن الأبحاث العلمية تؤكد التأثيرات النفسية المدمرة والسلبية، بما في ذلك أعراض الاجهاد بعد الصدمة والارتباك والغضب للعزل المنزلي، وارتفاع حدة الضغوطات كلما طالت مدة الحجر الصحي، والمخاوف من العدوى والاحباط، وعدم كفاية المؤنة والخسارة المالية. وفي نفس الاطار أشارت ابحاث مجلة (the Lancet) الطبية أنه في حالة عزل الآباء عن الأطفال فإن 28/ من الآباء المعزولين يعانون من "اضطراب الصحة العقلية المرتبط بالصددمات"، كما تبين أن حوالي 10/ من موظفي المستشفى المعزولين يعانون من أعراض اكتئاب عالية. (العربي الجديد، 2020)

الخوف من الموت أو رهاب الموت:

الرهاب كما فسرهُ علم النفس هو حالة خوف مرضية تتسبب في اضطرابات نفسية عميقة. وفي الواقع ليس مستجدا هذا الفيروس وإنما حقيقة وواقعا ارتبط بتاريخ البشر وبإنسان غير الواعي .

فقد نشط فيروس كورونا الدورة الدموية لفيروس متلازم الإنسان "الهش" أي الضعيف ما يسمى برهاب الموت. وهنا نعود الى بعض السلوكيات البسيطة اليومية للفرد، التي زادها تأثير القصف الاعلامي حدة، القلق من سعال خفيف من المقربين.

يصف مارك كريون (1962-) الوضع قائلا: "يمكن أن نفهم هذه الاجراءات (يقصد اجراءات الحجر)، فهناك أسباب عديدة لقبول ذلك، فأعداد الموتى ظاهرة للعيان وليست خيالات وضاوة الفيروس وانتشاره السريع ليس من صنع القوى الظلامية، غير أن الشيء الذي لم يكن مقبولا هو تعمّد دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل والمكسيك تغاضي النظر عن خطورة المرض من أجل عدم عرقلة سير العالم لإنقاذ اقتصاد غير عادل، غير ابهين بالموتى من الفئات المحرومة والضعيفة من البشر، ان منطق هؤلاء لا يخرج عن فلسفة الحساب الكلي المضحية بعشرات الملايين من الناس حفاظا على المصالح الخاصة، وهذا كله للهروب من قيود الاضطراب الى مراجعة مسألة علاقات القوى الاقتصادية والاجتماعية التي تصب في مصلحة المنتفعين من الوضع الاقتصادي (crepon, 2022,41).

إن الكوارث سواء كانت مناخية أم صحية، تشكل ظروفًا استثنائية، وهذا من باب الضحايا الكثير، وهذا الأمر يشكل الحاحًا إتيقيًا وسياسيًا ملء الهوة بين التحديد النظري لمسؤوليتنا والتوظيف العملي لذلك. (crepon,2022,42).

يبدو أنه لا يمكن التقليل من التأثيرات السلبية المقلقة لثقافة الخوف، ذلك أن من جملة هذه التأثيرات الخضوع لرقابة كثيفة من السلطة السياسية، ليس فقط على تنقلاتنا، ولكن على مسار حياتنا كلها، هذا وإن كانت الرقابة رقمية مما يسهل تعقب حركة الرعايا، ثم إن اغراءات هذا التطبيق تسمح بتشخيص مواقع المرضى، الحاملين للفيروس في المدينة على شرط أن يكون ذلك بشكل مؤقت، وأن يتم أرشفة هذه المعطيات، علمتنا ثقافتنا التاريخية والسياسية، وعندما الاجراءات التشخيص والرقابة مقبولة من الساكنة دون مقاومة أو احتياج وتعطي للحاكم سلطة التحكم في وجود البعض من الناس فرديا أو اجتماعيا، فإنه يستحيل التنبؤ مسبقا بحدود ومدة استخدام هذه الوسائل التكنولوجية .

يشير مارك كريون جملة من المخاوف والمتعلقة بالمعطيات المخزنة في وزارات الداخلية، أو ما يمكن أن تفعله الحكومات المتعاقبة من تزييف للمعطيات، هذا كله يعيد تحليلات ميشيل فوكو، والتي ركّز فيها منذ أربعين سنة على مجيئ مجتمعات الرقابة (Crepon,2022,44) .

تحلل هذه المقالة القضايا الرئيسية المتعلقة بإغلاق المدارس وإعادة فتحها، من القرار - لجعل تنفيذها ملموسًا على أرض الواقع. يتيح لنا هذا النهج تعلم الدروس الأولى من الأزمة والدعوة إلى ظهور نهج تعليمي للصحة ومشاركته، بعيدًا عن البيئة المدرسية، على هذا الأساس، فإن صياغة أطر وطنية ذات صلة للتفكير وتمكين الفاعلين المحليين هي التي ستجعل من الممكن حماية التلاميذ ومنع تطور الأوبئة والحفاظ على جودة العملية التعليمية) ". (Crepon,2022,4)

توجهات واءاء تفاعلية زمن الجائحة :

إن آراء الفيلسوف فريدريك وورمس مهمة في تشخيصه لتأثيرات الجائحة على الإنسان.

إن ما يميز الانعطاف التي نعيشها الآن مع جائحة كورونا ليس انقسام الأحداث الطارئة في كل المجالات أننا لا نحس بالوقت الذي مضى (عندما نتحدث فترات الحروب مثلا).

يركّز وورمس في كتابه الحياة في الزمن الواقعي على دكتاتورية الطوارئ، وقد تحولت هذه الديكتاتورية إلى تقييد القواعد الاعتيادية الحقوقية بدافع الحفاظ على الآجال الزمنية.

إن كل واحد فينا يشعر بأنه يعيش لحظة تاريخية، ولكن ما الذي يجري فعلا؟ إنّها اللحظة التاريخية الأولى التي يتحدّد موضوعها حول الحياة والصحة.

يمكن أن نسمي هذا القرن بقرن الصحة العمومية، وهكذا فإنه يجب توجيه السياسة بطريقة محددة وجديدة نحو الصحة في كل أبعادها، وعليه يجب أن تكون هناك خيارات ومؤسسات والتزامات ومشاركات.

الحاجة إلى اخلاقيات خاصة:

افرازات أزمة كورونا جعلت الكل، مفكرين أطباء مختصين، وحتى المواطنين واعون بضرورة العودة إلى أخلاقيات خاصة بالمرضى والمسنين وحتى المتعافين، وأنه من الضروري على الهيئات الطبية التأكيد على مبدأ كرامة كل إنسان وعلى المساواة، وأن نمتلك الوعي بأنه في زمن الأزمة وقلة وسائل العلاج وجب العمل بحكمة من خلفية وطنية بعيدا عن الطرح النفعي الذي يجعل من المصلحة الفردية للمتفعين من العلاج أولى من علاج الفئات الهشة.

ومع الارتفاع المهول لضحايا مراكز المسنين (epad) ترى بيلوشون في دراستها المعنونة الانفلات والهشاشة أن دعم الاستقلال وإحساس بالوجود لدى المقيمين في مراكز المسنين مرهون بثلاث مفاهيم إيتيقية طبية أساسية لدى المعالجين وهي: الاستقلالية، الهشاشة والمسؤولية.

- الاستقلالية يتم على تشكيلها على ضوء الهشاشة.

- ولا يتوافق (أي لا يمكن فهمها) مع الكفاءة القانونية، ولها معنى بالنسبة للأشخاص في وضعية ارتباط.

- أما الهشاشة فتعبر عن شرطية كائن يمكن أن تجرح كرامته ولا يمكن أن يدافع عن نفسه ببساطة .

تطرح كورين بيلوشون سؤالا مفاده: ما هي المميزات الأخلاقية التي يجب تطويرها قبل أن نجد توازنا بين مبدئين أساسيين، وهما الأمن والحرية، وهذا دون خلق إجراءات مشددة لحماية المسعفين وإرهاق المقيمين؟

إن مرافقة المرضى يستوجب مميزات أخلاقية مهمة توجبها لنا الإيتيقا، ولا تختصر فقط هذه الأخلاقية في تطبيق المبادئ والمعايير، إن مرافقة الأشخاص في وضعية ارتباط بالمرض يجب دعم إحساس الوجود لديهم، وامتلاك خصائص أخلاقية مذكورة سابقا، إن معرفة التعامل مع الآخرين يفترض حرية داخلية تمر حتما عن طريق معرفة الذات.

ويمثل مفهوم المسؤولية أهم المفاهيم الإيتيقية الطبية التي ركزت عليها كورين بيلوشون، والبداية من فكرة الطريقة التي نحترم فيها الأشخاص المتوفين، وهذا بمصاحبة أقاربهم وأخذ بعين الاعتبار البعد السيكلولوجي والروحي والاجتماعي للحداد، كل ذلك يشكل أحد علامات الحضارة.

إن تطور الممارسات في غرف الجنائز خلال الخمسة عشر سنة الماضية، ووعي المعالجين في الخدمة العمومية بأهمية هذا المكان يعبر عن تقدم واقعي وجب متابعته وتعميمه وتقويته عن طريق التكوين والإعلام النوعي، وهكذا فإن هناك قيم تضمنها على المستوى الجمعيات المهنية وكذا على المستوى الجماعي في خيارات وأهداف المجتمع، وهذا هو المعنى الذي يسميه بول ريكور بالشهادة والاعتقاد .

إن مسؤولية المعالج اتجاه الآخر تتجذر في اعترافنا بعدم الانتصار على الموت، يعتبر ذلك صراعاً ضد الموت، وهذا ليس إبادة كما يقول ليفيناس (Levinas) تكون حياة بعد الموت أولاً، المهم أن التزامنا يكمن في الاحتفاظ بمعنى إنسانية الإنسان من البداية إلى النهاية، أي من المهد إلى اللحد.

تكون المسؤولية بالنسبة للآخر في قلب مهنة الطبيب، ذلك أن الوضعية الطبيعية هي وضعية إيتيقية تتميز بالتمائل، ففي غرفة المستشفى وفي غرفة الجنائز، أو أمام الأقارب يعيش المعالج هذا التماثل.

أخيراً، نستنتج من خلا ورقتنا هذه أن لمرض كورونا فيروس دلالات نفسية واجتماعية وصحية وأبعاد سياسية استوجبت إيجاد إيتيقا خاصة بها، وكل ما اقترحت الفلسفات الإيتيقية يعالج مسألة العلاقة بين الطبيب والمريض، وقد كانت تجارب المسنين الذين توفوا مناسبة لفهم تعقد مشاكل المرضى وما يجب على المعالجين فعله تجاههم.

إضافة إلى هذا، فإن إفرازات الجائحة على الجانب التربوي والنفسي مناسبة أيضاً لتدعيم المناهج التروية والاعلام العمومي وحتى الخاص بمادة علمية تخص إرشاد الأفراد حول تسيير الأزمات أي كانت، خاصة التي تمس الجوانب الصحية، والتوعية حول الأوبئة والأمراض، وموضوعات أخرى تخص المناعة الصحية والحالة النفسية الإيجابية لضمان تمتع أفراد المجتمع بالصحة العامة. إضافة إلى توجيه وسائل الاعلام وتوجيهها نحو عدم التهويل والتخويف وهذا كله في سبيل نشر الوعي الصحي المجتمعي.

المصادر والمراجع:

- 1- العربي الجديد، (2020) الحجر المنزلي يضع العالم أمام أكبر تحد نفسي، نشرت في 2020/04/17، <https://www.alaraby.co.uk>.
- 2- بومدين، سنوسي وجلولي، زينب (2020) الصحة النفسية في ظل انتشار فيروس كورونا كوفيد-19 والتباعد الاجتماعي واستمرار الحجر الصحي، مجلة التمكين الاجتماعي، 2(2)، 65-80.
- 3- مصطفى حجازي، رهاب الكورونا الكوني، مقارنة نفسية، مجلة الفيلسوف (2020) <https://play.google.com/books/reader?id=LcTgDwAAQBAJ&pg=GBS.PT19&hl=fr>
- 4- إيمان مرعي، التعليم في ظل جائحة كورونا، الإشكالات والافاق المستقبلية 2020 <https://acpss.ahram.org.eg/News/17004.aspx>

- 5- Claire marin,(2020), réapprendre la maladie, esprit, paris .
- 6- Frédéric Worms, (2021) vivre en temps réel, Bayard, paris.
- 7- Jean –Luc Nancy, un trop humain virus, Bayard, (2021).
- 8- Corine pelluchons, (2020)enfermement et vulnérabilité, in Dominique, monneron et al, éthique du grand âge de la dépendance, puf France
- 9- Corine peluchons,(2021) éthique de la considération, le seuil.

- 10- Corine pluchons,(2012) homme et responsivité, in Emmanuel hirsch, fin de vie, éthique et société, eves,
- 11- Brooks, S., Webster, R., Smith, L., Woodland, L., Wessely, S., & Rubin, J. (2020). The psychological impact of quarantine and how to reduce it: Rapid review of the evidence, Lancet.
- 12- Crépon m, (2022), Le désir de résisté, un esprit critique pour notre temps, Odile Jacob, paris.
- 13- Didier Jourdan, Nicola Gray, Valérie Ivassenko, (2021) Écoles et pandémie : qu'avons-nous appris de la crise sanitaire ? Dans Santé Publique /6 (Vol. 33).
- 14- Méirieu, f, (2020) : ce que l'école peut encore pour la démocratie, éditeur autrement.